قسم الأبحاث | 2018-08-13

كيف تطرّفنا دينيّاً؟

المسار والخلاص

اسم الكاتب

طارق أبو السّعد

جميع الحقوق محفوظة © 2018
www.hafryat.com

مقدّمة

إنّ الكشف عن جذور التطرف, والعنف والإرهاب, ومعرفة أسبابه؛ هو موضوع الساعة, وهو, في نظرنا, من أشدّ الموضوعات خطورة وأثراً؛ فالعالم (العربي والإسلامي) يعاني من موجة تطرف شديدة خلال القرن الماضي, هذه الموجة استهلكت طاقة الأمة العربية والإسلامية, هذه الموجة صنعتها وجهّزت لها التيارات المتشدّدة الدينية.

التيار الديني المتشدّد, ظهر في بداية القرن العشرين, كردّ فعل مضادّ لمظاهر المدنية الحديثة؛ حيث عدّها قرين التحلّل والاستعمار والاحتلال, وظلّ يوجه انتقاداته إلى المجتمع والأفراد المؤمنين بالمدنية, الذين حاولوا تطبيق مبادئها على أنفسهم وعلى مؤسّسات المجتمع, والتيار الديني المتشدّد بدأ بإحياء الفكر الوهابي المتشدد, ثم تلقّفته جماعة الإخوان المسلمين في مصر, ومن نتائج تربية جماعة الإخوان؛ انتشرت أسس الفكر المتطرف, وتوالدت الجماعات فيما بينهم, إلى أن وصلت إلى الوضع الحالي.

رغم أنّ التيار المتشدد والمتطرف, ليسا جماعة واحدة, أو حزباً واحداً, إلا أنّ الأصل الفكري واحد, لهذا عدّ جماعة الإخوان المسلمين هي الجماعة الأم الممثلة لهذا التيار, وقد تمكّن هذا التيار من استقطاب أعداد كبيرة من الشباب, تمّ تجنيدهم في الجماعات الإسلامية المختلفة, تحت مزاعم أنّ المسلمين الآن لا يعيشون حياة إسلامية صحيحة, وإن كان على المسلم أن ينتمي إلى جماعة إسلامية تهدف إقامة الفرد المسلم, والأسرة المسلمة, والمجتمع المسلم, ومن ثم ينتج المجتمع حكومته المسلمة, وإلا أصبح من الآثمين, وبسبب براغماتية الأنظمة الحاكمة التي كانت تستخدم الحالة الإسلاموية لتثبيت أركان حكمها, توغّل التيار المتشدّد في المجتمع, وتمكّن من استقطاب أعداد كبيرة, تبنّت أفكاره المتطرفة والعنيفة تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين, وهو ما ساعد في تفشّي العنف الديني في المنطقة العربية والإسلامية.

بدأ العنف الديني حين أقام التيار الإسلاموي نفسه قيماً ومسؤولا على المجتمع, وأعطى نفسه حقّ نزع صفة الإسلام عنه, أو إسباغها عليه! أعطى لنفسه الحقّ في أن يقول إنّ المسلمين لا يعيشون حياة إسلامية, وإنّ ما يحيونه هي حياة لا تتصل بالإسلام, وهي منكر يجب تغييره! ويملك حقّ التغيير وفق قراءة مفكّريهم, الخاصّة جداً, للحديث الشريف: عن أبي سعيد الخدري, رضيَ اللّٰه عنه, قال: سمعت رسول اللّٰه, صلّى اللّٰه عليه وسلّم, يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم.

أجل, التيار الديني استخدم اليد قليلاً, لكنّه ركّز على التغيير باللسان, باعتباره الأداة المتاحة تحت مزاعم أنّها دعوة لله, في بعض الحالات استخدمت اليد / القوة / العنف في تغيير المنكر مع الأهالي, لكنّها ظلت محدودة, واختلطت المفاهيم, ولم يُعرف الفرق بين التجنيد والدعوة؛ فمعظم الجماعات الإسلامية عدّت نجاحها كامناً في عدد أعضائها, وكلّما كانت الجماعة كبيرة العدد, كان هذا أقرب إلى أن تتمكن من فرض رؤيتها الإسلامية على المجتمع, فتسابق الجميع لجذب العناصر إليهم, واستخدموا كلّ الوسائل الممكنة للوصول إلى أكبر قدر من قطاعات المجتمع المختلفة, وتكوّنت اللجان المختلفة؛ فهذه لجنة للأشبال (الأطفال من سنّ 7 أعوام إلى سنّ 13 عاماً). وهذه لجنة للثانوي؛ وتضمّ الفتيان من سن 14 عاماً إلى ما قبل الالتحاق بالجامعة, وهذه لجنة لعمل الطلاب في الجامعة, وأخرى للفتيات, وأخرى للعمّال, وأخرى للمزارعين, وهكذا... كلّ مهنة لها لجنة, ولها طريق لممارسة التجنيد, وكلّ الجماعات, دون استثناء, كانت تزعم أنّها هي التي تملك الفهم الصحيح للإسلام, وأنّ ما تقوم به من ممارسات, إنّما هو من صميم الإسلام.

ثم في مراحل تالية؛ تم اعتبار الحكام والأنظمة الحاكمة والمساندة للحاكم, أهمّ منكر في حياة المسلمين؛ لأنه يقف عقبة أمام استعادة الحياة الإسلامية الحقّة لهم, فاستخدم معهم اللسان عبر الهجوم على سياساتهم والتهجّم عليهم شخصياً, ثمّ كان الطّور الطبيعي لتغيير الحكام, هو استخدام اليد بالسلام والتفجير والاغتيال, لكن ظلّ التوجّه نحو الحاكم, ومعاونيه من أجهزة شرطية؛ هي المستهدف من تغيير المنكر.

وأخيراً، تمّ التحوّل في ترتيب أولويات التغيير، فحمل السلاح ضدّ الجيوش العربية والمسلمة، ثم حمل السلاح في وجه المسلمين داخل القطر الواحد، ولم يكتفوا باغتيالات ضدّ رموز النظام، بل قامت جماعات، مثل داعش وجبهة النصرة، وهم من مكوّنات التيار الديني المتشدّد، بمهاجمة المجتمع بالسلاح، أو التفجيرات، أو قتل المخالفين فيها لفكرهم التنظيمي، وتمّ تخريب الممتلكات العامة.

ويظلّ السؤال: لماذا نمت هذه التيارات؟ وكيف انتشرت؟ ولماذا تقبّلها المسلمون وانضموا إليها وساعدوا الجماعات في الانتشار، ومن ثم التغوّل على مؤسسات الدولة ذاتها؟ ولماذا أصبح لدى كثير من المسلمين القابلية للعنف والتطرف؟ من المهم التعرّف إلى أسباب هذا التطرف الإسلامي، وأسباب انتشار التطرف الديني، في رأيي، تعود إلى الآتي:

أولاً: أسباب تعود إلى الخطاب الإسلامي الكلاسيكي

الخطاب الإسلامي الكلاسيكي الرسمي، يغذّي التطرف ويدفع الشباب للارتماء في أحضان جماعات العنف والتطرف هذه، فالخطاب الإسلامي يحمّل الجماهير مسؤولية الشقاء والضنك الذي يعيشونه، فيتم تفسير الآية الكريمة: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ}(طه: 124)، ما يعني أنّ الانعتاق من هذا الضنك؛ هو باتباع ذكر الله، ومع ترسيخ فكرة أنّ ذكر الله هو تطبيق الشريعة، بحسب مفاهيم سطحية جداً، يتولّد لدى البعض أنّهم هم المسؤولون عمّا وصل إليه المجتمع، ومع تكرار أحاديث مثل: عن ابن مسعود، رضي اللَّه عنه، أنّ رسول اللَّه، صلّى الله عليه وسلّم، قال: (ما من نبيّ بعثه اللَّه في أمّة قبلي إلا كان له من أمّته حواريّون وأصحاب، يأخذون بسنّته ويقتدون بأمره، ثمّ إنّها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل) رواه مسلم.

من هنا، أصبح المجتمع لديه القابلية للمجاهدة الداخلية ضدّ المجتمع المسلم ذاته، تحت مزاعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيصبح على المسلم أن يزيل

المنكر باليد, وإلّا سيحلّ عليه عقاب اللّه, كما في حديث حذيفة, رضي اللّه عنه, عن النبي, صلّى اللّه عليه وسلّم, أنّه قال: (والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف, ولتنهونَّ عن المنكر, أو ليوشكنّ اللّه أن يبعث عليكم عقاباً منه, ثمّ تدعونه فلا يستجاب لكم) رواه التّرمذي (وقال: حديث حسن).

إنّ استمرار اتهام المسلمين بأنّهم عصاة, وأنّ المجتمع أصبح بعيداً عن الإسلام, يجعل الناس يبدؤون طريقهم للبحث عن الحياة الإسلامية التي ترضي اللّه, فيحدث الآتي:

- قبول الأفكار المتشددة: بحثاً عن حياة إسلامية يرضى اللّه عنها, نجد الخطباء يميلون إلى اختيارات فقهية متشدّدة, يروّجونها باعتبارها الأحوط والأقرب إلى الصحة, وأنّها ما يجب أن يتّبعه المسلم, فيتكوّن لدى المسلم فكرة أنّ أيّ تشدّد هو التديّن, وأيّ متشدِّد هو أقرب إلى اللّه, وهذا فهم مغلوط وضارّ, وضرره يكمن في أنّه يؤسّس للتطرف, ومن ثم العنف.

- الإعجاب بالغلوّ: في هذه المرحلة يزايد بعض المتشددين على أنفسهم, ويزيدون غلوّاً على غلوّهم, فيحبّ الناس الغلوّ في كلّ شيء.

- تطبيق التشدّد على النفس: مع الإعجاب بالغلوّ والتشدّد, يصبح من الطبيعي أن تكون هذه الأفكار المتشدّدة محلّ تطبيق؛ فيبدأ فريق من الناس بتطبيق أفكارهم على أنفسهم, تحت مزاعم الحرية الشخصية, دون وعي بأنّ هذا ضارّ جداً على المجتمع, وتبدأ في ارتداء الملابس الغريبة عن المجتمع, مثل الزيّ الباكستاني والأفغانيّ, أو زيّ أهل نجد, وإطلاق اللّحى, وتقصير البنطال للرّجال بطريقة مثيرة, أو ارتداء النقاب وحجب وجه المرأة, وقد وصلت في بعض الحالات في صعيد مصر, أن أقاموا الحدود فيما بينهم, كلّ هذه السلوكيات تأتي في إطار تطبيق الأفكار المتشددة.

- تكوين تصوّر متطرّف عن الآخر: بعد مرحلة تطبيق الأفكار المتشدّدة على أفراد التيار, أو على النفس, يتكوّن لدى الفرد إحساس زائف بأنّه أفضل وأعلى

من الآخرين في المجتمع؛ فهو قد طبّق الحياة الإسلامية الحقّ, وأجهد نفسه ليطبقها, فلا شكّ لديه في أنّ الذين لم يأخذوا بالعزيمة هم مفرطون مترخّصون, يتماهون مع المجتمع البعيد عن الإسلام (الجاهلي), كما أنّهم سبب الحياة الضنك التي نعيشها, ومن ثم يبحث في حكم التعامل مع المفرّطين!

- الإيمان بامتلاك الحقيقة والتعصّب للرأي: مع تنامي حالة الإعجاب بالرأي المتشدّد, والعجب المصاحب لتطبيق الأفكار المتشدّدة, والخيارات الفقهية الصعبة؛ ينمو لدى الفرد أنّه يمتلك الحقيقة, وأنّه لا يمكن للرأي الآخر أن يكون صواباً, فكيف يمكن عدّ الفتاة المنتقبة أقلّ من الفتاة المتبرّجة, أو المحتشمة, أو التي ترتدي الخمار؟! فهم يزعمون أنّ أفكارهم هي الحقّ, ثمّ يستشهدون بقوله, تبارك وتعالى: {فَمَاذَا **بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**} (يونس: 32), بهذا يصير النقاب حقّاً, والخمار ضلالاً, بهذا يصير الانتماء للجماعة التي تتبنّى فكره نفسه هي الحق, ورفضها هو الضلال!! من هنا يولد العنف والإرهاب.

- عدم التفريق بين الانحياز والاستقطاب الحادّ: مع غياب تقبّل الآخر (شرعاً), والزعم بامتلاك الحقّ, وأنّ الآخر على ضلال, يطالب أصحاب الفكر المتشدّد الآخرين باتباعهم, للنجاة من الضلال, وللتنعّم بظلال الخير في جماعتهم التي هي على حق, ويرفضون أيّ انحياز مخالف لإنجازاتهم, سواء الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية, ويصبح الفرد لديه جاهزية للاستقطاب الحادّ.

- التماهي بين الدعوة وبين التجنيد: أصحاب التيار المتشدّد تغلبهم الرغبة في حشد أكبر عدد من الأنصار داخل الجماعة أو التيار؛ فيتحوّل الهدف من دعوة إلى تجنيد, تماماً كالفرق بين الإطعام والطعم؛ فالإطعام أن يقدّم الشخص الطعام للآخر مجاناً, أمّا الطعم؛ فهو أن يقدّمه ليقع في الفخّ, فتحوّلت الدعوة إلى أن يقبل الفرد الأفكار إلى فخّ الانضمام إلى الجماعات.

- فرض الرأي بالقوة: بعد الانضمام إلى الجماعات المتطرفة, يمتلئ الأفراد بالأفكار المتشددة, وينمو لديهم العجب بأنفسهم, والتعصّب لجماعتهم؛ فيرون أنفسهم قدر الله على النّاس, والمكلَّفين من قبل الله بجبر الناس على الحقّ, مستندين إلى الحديث الشريف بلفظ الترمذي, قال رسول اللَّه, صلّى الله عليه وسلّم: (لمّا وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا, فجالسوهم في مجالسهم, وآكلوهم وشاربوهم, فضرب اللَّه قلوب بعضهم ببعض, ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم, ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون), فجلس رسول اللَّه, صلّى الله عليه وسلّم, وقد كان متكئاً فقال: (لا, والذي نفسي بيده, حتّى تأطروهم على الحق أطراً)؛ أي إجبارهم على الحقّ جبراً.

- التحريض على العنف: لم يعد بعد أنّ آمن الفرد بأنّ أفكار جماعته أو تياره, هي الحقّ, وأنّ الآخر على باطل, وأنّه مأمور من الله, على لسان رسول الله, أن يجبر الناس على الحقّ جبراً, مستخدماً الوسائل الثلاث الممكنة؛ وهي اليد واللسان والقلب, كلّ الإسلاميين يؤمنون بهذا, بما فيهم أصحاب الخطاب الرسمي, هم يختلفون فقط في تقدير حجم القوة التي تمكّنهم من إجبار الناس على الحقّ ليس إلّا.

عقود من الادعاءات بأنّ المجتمعات لا تتصل بالإسلام على الوجه الصحيح, عقود من التربية على هذا الخطاب الديني الرسميّ, وما يتفرع منه, وما ينتج عنه, جاهزية للانضمام إلى الجماعات المتطرفة, أو على الأقل, قبول أفكارها في المجتمع, فإنّ سمح أيّ مجتمع لهذه الأفكار بأن تنمو, وترك الخطاب الديني الرسمي دون هوية ودون فلسفة واضحة, ينتهي به المطاف إلى تفشّي التطرف والإرهاب فيه.

ثانياً: أسباب تعود إلى غياب دور أجهزة الدولة:

كان من الممكن أن تقوم أجهزة الدولة بدور كبير لمنع التطرف الديني, وتقف ضدّ توغّله في المجتمع, لكن نظراً إلى بعض الممارسات الخاطئة, التي تتحمّلها الدولة, انخرط الشباب مع هذه الجماعات, وآمنوا بأفكارها, ومن هذه الأسباب:

1- الإحباط السياسي: إنّ كثيراً من البلدان العربية والإسلامية لم تكتفِ بتهميش العمل الحزبي, وتجميد الحياة السياسية, وعدم الاكتراث بها؛ بل وقفت في وجهه الحياة المدنية, وتصدّت لأربابها, وحصرت نشاطها, كلّ هذا كان في صالح التيار الإسلامي, فلم يعد هناك صوت معارض قوي غير الجماعات الإسلامية, وأصبح الانتماء إليها يعني المعارضة الوطنيّة.

2- القمع الأمني الشديد: لا حل مبدئيا للخارجين عن القانون إلا أن يتعامل معهم الأمن وفق القانون, لكنّ القمع خارج إطار القانون من شأنه أن يولّد المنظمات السرّية, والتوجهات المضادّة لقيم المجتمع المدنيّ, كما أنّه سيكون مبرراً لردود الأفعال الغاضبة, التي لا تجد ما تصبّ فيه غضبها, وتفرغ فيه شحنات عواطفها إلا امتطاء صهوة الإرهاب, إنّ اختيار العمل السرّي أحد أخطر أمراض المجتمعات, والتي لو تخلّصنا منها لأصبح تأثير الجماعات المتطرفة أقلّ حدّة.

3- الواقع المأزوم والرغبة في الإصلاح: غياب العدالة الاجتماعية وأزمات الواقع, جعلت الكثير ينتمي للجماعات المتطرفة والإيمان بأفكارها, التي تنتهي بهم دائماً نحو العنف والإرهاب, كثير من المنتمين للتيار الاسلامي ضلّوا طريقهم نحو الإصلاح, وسلكوا طريق العنف, ظنّاً أنّه أسلوب مقبول لنسف كلّ العقبات نحو الإصلاح, فهم في الأساس يتخيلون أنفسهم مصلحين, ولم يجدوا إلا خطاب الجماعات المتطرفة فآمنوا به, الذي يهدف إلى وضع حلول جذرية, تقوم, أولاً, بنقض الوضع الحالي, حتى الأساس, ومن ثم البناء من جديد, على أسس جديدة, هذه التصورات الراديكالية هي التي دفعت الكثير من أبناء هذه التيارات على تبنّي العنف طريقاً للوصول إلى المدينة الفاضلة, وارتدت الحركة نحو الداخل لتقيم هذه الدولة الحالمة, وأريق الكثير من الدماء, وسيراق أكثر, فلا توجد بوادر تشي باقتراب نهاية العنف والإرهاب, وعموم السلام, فالعوامل التي دفعت هؤلاء إلى الإيمان بالأفكار المتطرفة ما تزال قائمة.

الحلول المقترحة

أولاً: تغيير الخطاب الدينيّ الرّسميّ

- يجب تغيير بنية الخطاب الديني الرسمي، ويجب أن يكون الخطاب الديني معبّراً عن المستقبل، ويجب التوقف عن الحنين إلى الماضي، ويجب أن يكون خطاباً يسمح بتقبّل الآخر فكرياً وعقائدياً، خطاباً ينشر ثقافة التسامح، خطاباً يساعد على القطيعة المعرفية مع الماضي، ويجب التوقف عن احتكار الحديث باسم الإسلام، والتوقف عن نشر نموذج المتدين على أنّه ذاك الذي يأخذ نفسه بالعزيمة، والترويج لنماذج من الصحابة محبّة للحياة ونماذج من المفكرين الحاليين تعطي تصوراً للحياة الإسلامية التي لا تتناقض مع الدين.

- يجب إجراء حوارات ولقاءات ومناظرات مع من يحمل فكراً فيه غلوّ أو تطرّف، أو عرضت عليه شبهة بقصد تشخيص المشكلة ومعالجتها، بعيداً عن المزايدات والتشهير، وكيل التهم، واستباق الأحكام.

ثانياً: عدم الاكتفاء بالحلول الأمنيّة

الحلّ الأمنيّ مناسب لمن خرج عن القانون، لكنّه غير مناسب أبداً لمن يحمل الفكر المتطرف والإرهابي، هؤلاء يحتاجون إلى تضافر جهود الأمة، من علماء اجتماع وسياسة، لإبطال مفعول التطرف في المجتمع، واجتثاث الأفكار المتطرفة، ونبذ التعصب والتشدّد، مع طرح كلّ القضايا، دون خوف أو تردّد، على المجتمع ليختار قيمه السائدة.

إنشاء مركز أو مجلس أعلى لمكافحة ومحاربة الإرهاب والتطرف والغلوّ الديني، والكفّ عن اتهام الدين الإسلاميّ بأنّه هو المتسبّب في الإرهاب من قبل المثقفين، وطرح الفرضيات التي يتبناها الإسلاميون، والوصول إلى نهاية المطاف مع وضع كلّ

مقولات الإسلاميين محلّ اختبار, والبحث في الجمل والأفكار المفتاحية التي تؤسس لعالم متعصّب ومتطرّف, ومن ثمّ إرهابي.

ثالثاً: إيجاد آليّات للحوار مع الشّباب

- الاستماع بجدية وعمق إلى الشباب والتعرف إلى رؤاهم, وخلق مساحات للحوار فيما بينهم أيضاً, طرح القضايا الجوهرية بدلًا من الانزلاق إلى قضايا فرعية.

- وأتصور, هنا, وجود قضيتين محوريتين للحوار: الأولى حول أسس النظام الديمقراطي المنشود, وآليات وسبل تفعيله في كافة القطاعات السياسية والتنموية والاجتماعية, وحول كيفية إقامة هذا النظام والتوافق حوله والحفاظ عليه.

أما القضية الثانية؛ فهي مشروع قومي جامع لكلّ الطاقات, ينظر إلى مجتمع المستقبل مع ترسيخ منظومة قيمية اجتماعية جديدة, تعلي شأن المشاركة في بناء الدولة الجديدة, وأهمية التفكير في المستقبل, وتجاوز كافة العقبات.

رابعاً: الإصلاح السياسيّ

- الحياة السياسية بها عطب شديد, لم تتمكن من احتواء الشباب؛ حيث سيطرت الروح النفعية على جميع الأحزاب؛ فكلّ حزب حريص على ضمّ مجموعات شبابية لصفوفه لضمان كتلته التصويته في أيّة انتخابات, وهي برجماتية في أسوأ صورها.

- والحلّ؛ هو في تغيير الصورة النمطية عن العمل الحزبي والسماح للشباب بقيادة صفوف المعارضة بشكل منضبط.

- إيجاد نظام ديمقراطي, وتبادل السلطة, بإيجاد آليات جديدة لتحقيق ديمقراطية حقيقية وليست زائفة, وسبل تفعيل مشاركة الشباب فيه على كافة المستويات, وفي كافة القطاعات, السياسية والتنموية والاجتماعية, وحول كيفية إقامة هذا النظام, والتوافق حوله والحفاظ عليه.

خامساً: التوافق على أسس وأبجديات هُويّة وطنيّة جامعة

- لا بدّ من ترتّب أولويات المجتمع, وتوحيد جهوده نحو إقامة دولة العدالة الاجتماعية, ونحو إيجاد هوية ومشروع قومي وطني كبير, يجمع الناس كلّهم دون تمييز عرقي أو ديني أو طائفي.

- حسم الانتماء للدولة الوطنية, وأنّ الانتماء القومية العربية تالٍ للانتماء إلى الدولة الوطنية, وأنّ الانتماء للدين الإسلامي لا يعني إقامة دولة الإسلام السياسية.

خاتمة

إنّ التطرف والعنف والإرهاب, ما كان لهم أن يتكاثروا في المجتمع, ما لم يتقبلهم الوعي الجمعي, والوعي الجمعي كوّنته الأفكار الدينية عبر عصور, التي تمتلئ دائماً بالأفكار الحادّة, التي ترسّخ للفكر المتطرف والمتشدّد, ويبدو أنّ أوّل خطوة؛ هي اجتثاث العوامل التي تساعد الإرهابيين والمتطرفين في الوجود في المجتمع, والله أعلى وأعلم.

hafryatnews

hafryatnews

hafryat news

hafryatnews

hafryatnews

hafryat news

All Rights Reserved © 2018

www.hafryat.com

جميع الحقوق محفوظة© 2018